حكمة راما كريشنا الهندي

***

في تاريخ الشرق القديم صحارى من الجهالة تتخللها واحات من العرفان ، في كل واحة منها ينابيع غزيرة تتدفق منها الحكمة والفلسفة لتروي النفوس ولتبقى في حقل الفكر اثراً مخصباً لا يمحقه كرور السنين . تلك الينابيع هي تعاليم فلاسفة الشرق الاقدمين الذين نشأوا في اجيال الجهالة والظلام فاشعلوا مصباحهم فيها وابقوا بعدهم سبيلاً نيراً يتطلبه كل حكيم ويتهافت عليه الباحثون والمفكرون من ابناء الاجيال المتأخرة

من هؤلاء الفلاسفة الاقدمين راما كريشنا الهندي . كان هذا الحكيم كارزاً متواضعاً لم يبغ شرفاً ولا رفعة . ولم يبق تآليف ولا مذهباً ، ولكنه ترك اقوالاً وامثالاً ملؤها الحكمة والغنى الفكري . وقد آثرنا نقل بعض جواهرها الى العربية لتحفظ مع آثار الشرق الثمينة

. . . . .

نتف من حكم راما كريشنا

جاء في الاساطير القديمة ذكر طائر غريب يُدعى « خوما » يعيش في اعالي الجو ويحب الشاهقات حباً لا يستطيع معه ان ينحدر الى الارض . وجاء فيها ايضاً ان هذا الطائر يبيض في الجو فتسقط بيضته بحكم الجاذبية نحو الارض ، ولكنها تنقس في اثناء سقوطها ، فيخرج الفرخ منها ، فيدرك

للحال انه ساقط الى الاسفل ، فيندفع حالاً بقوة الغريزة الى فوق — نحو تلك الاعالي التي اعتاد جنسه ان يعيش فيها فوق الغمام

كذلك الطائر الرجل الكامل ، يرفض كل العالميات ويرتفع بروحه الى شواهق المعرفة الحقيقية والنور الالهي

. . . . .

الريح تنقل أرج شجرة الصندل ونتانة الجيفة . ولكنها لا تمزجهما . ومثلها الرجل الكامل — يحيا في الدنيا ولا يمزج حياته بحياتها

. . . . .

ما دام الرجل يصرخ ويضرع قائلاً — يا ربي ! ... يا الهي ! .... فاعلموا انه لم يجد حقيقة ربه . فان الانسان العارف بالله يهدأ ويصمت

. . . . .

اذا صببتم الماء في جرة فارغة تسمعون حين انسكاب الماء فيها صوت خرير . ولكنها متى اخذت بالامتلاء يضعف الصوت الى ان ينقطع تماماً حين تمتلىء الجرة .

الانسان مثل الجرة ، فانه قبل ان يعرف الله يكون مملوءاً ضجة المجادلات الفارغة ولكنه متى وجد الله يسكن الضجيج في داخله ويمتلأ سعادة الهية هادئة .

. . . . .

الامرأة تتحاشى عادة ان تذكر للناس ما يدور بينها وبين زوجها من

الاحاديث في ساعة الغرام · ومثلها المؤمن — فهو يتحاشى ان يقص لاحد ما يجده من الافراح في اتصاله بالله ومناجاته

. . . . .

متى كان الرجل في السهل يرَ العشبة الواطئة والارزة الشامخة فيقول ما اصغر هذه العشبة ، وما اشمخ هذه الارزة ! ... ولكنه متى ارتقى الجبل ونظر من قمته الشاهقة الى الاسفل يرَ ان العشب الحقير والارز الشامخ قد امتزجا في جسم واحد اخضر · كذا يكون الفرق في عيون اهل الدنيا بين مراكز الناس عَلَى الارض ، ولكنه متى استنارت عينا الانسان وابصر الحكمة الالهية لا يجد فرقاً بين الاعلى والادنى من البشر

. . . . .

ما اسهل النقش عَلَى الطين واصعبه عَلَى الحجر الصلب · كذلك وجه الله فانعكاسه في نفس المؤمن سهل ولكنه يستعصي عَلَى قلب رجل الدنيا

. . . . .

يحلق الصقر في السماء وعيناه موجهتان دائماً الى الاسفل ليرى هل من جيفة منتنة فيسقط عليها · كذلك الحكيم الدنيوي فهو يتكلم كثيراً ويفيض في الشرح عن المعرفة الالهية ، ولكن ما يقوله احاديث وكلمات لا تتعدى اللسان ، اذ يظل عقله مفكراً في كسب المال والشهرة والسلطة بواسطة ما يقوله من الحكمة

. . . . .

الغراب احكم الطيور واحذرها . فهو لا يقع في الفخ بل يطير مولياً عند اقل شبهة تخامره ، ويسرق لنفسه القوت بمهارة ونباهة . ولكن كل هذه الحكمة والحذر لا يعودان عليه من الكسب بغير الجيف والاقذار

. . . . .

كان الرجل المحب الله (باكتي) والرجل العارف بالله (غناني) سالكين طريقاً في غابة . وبينما هما سائران اذا بنمر قد اعترضهما فقال العارف بالله — ليس من سبب للهرب فان الله القدير يحمينا ويكلوءنا . فاجابه الرجل المحب الله — لا ، يا صاح ، الهرب أولى . لماذا نتعب الله ونكل اليه ما نستطيع ان نفعله بانفسنا ؟

. . . . .

بينما بضع نساء بائعات السمك عائدات من السوق البعيد الى قريتهن يحملن سلالهن الفارغة اذا بمطر وابل قد فاجأهن في الطريق وكان الوقت مساء فاضطررنا ان يلجأن الى دكان بائع زهور بالقرب . فتحنن الرجل عليهن وسمح لهن ان يقضين ليلتهن في غرفة يضع فيها ازهاره . وكان الهواء في الغرفة مفعماً بأرج الازهار فلم يستطعن ان ينمن من تلك الرائحة العطرية وظللن كذلك الى ان فطنت احداهن فقالت لاخواتها — لندن كل واحدة منكن سلتها الفارغة من انفها — فلا تحول رائحة الازهار الحبيبة دون نومكن فاطعنها كلهن فنمن للحال وقد حالت رائحة السمك دون رائحة الازهار . كذا يكون تأثير العادات السيئة في كل

من يستسلم اليها ·

. . . . .

ترد في التقاويم المطبوعة نبوات عن مواعيد الامطار · ولكنك مهما عصرت كتاباً من هذه التقاويم لا تظفر بنقطة واحدة من المطر · وامثال هذا — الكتب التي تحوي كثيراً من الحكم والارشادات فانك مهما قرأتها لا تصبح حكيماً الا اذا فعلت بموجبها

. . . . .

تمكن احدهم من المشي عَلَى الماء بعد محاولة ذلك ١٤ سنة قضاها في الزهد والتقشف · فطارت نفسه فرحاً ومضى الى مرشده يخبره بالامر · فقال له المرشد · يا لك من مسكين ! أأنفقت ١٤ عاماً كلها مشقة وتعب لكي تدرك ما يبلغه بقية الناس بدراهم قليلة يدفعونها للنوتي

. . . . .

كان في احدى القرى حطاب فقير يكتسب قوت يومه بشق النفس ويقضي نهاره محتطباً في حرج قريب · فبينما كان يحتطب ذات يوم مرّ به درويش من البراهمة المتزهدين فنصح له ان يتوغل في الحرج فينال كسباً اوفر وأيسر · فاطاعه الحطاب وتوغل في الحرج فعثر عَلَى غابة من اشجار الصندل النفيس فقطع ما امكنه حمله منها وباعه بثمن غالٍ · ثم فطن انّ الدرويش لم يقل له شيئاً عن غابة الصندل بل قال له ان يتوغل في الحرج · فذهب في اليوم التالي واجتاز غابة الصندل غير ملتفت اليها وسار اكثر من

ذي قبل فعثر عَلَى منجم من النحاس . فجمع ما امكنه منه وباعه بثمن جيد . وفي اليوم التالي لم يقف عند منجم النحاس بل امعن السير في داخل الحرج فعثر عَلَى منجم فضي فجمع الفضة وحصل له الغنى . وفي اليوم التالي ترك منجم الفضة جانباً واوغل في داخل الحرج فعثر عَلَى منجم ذهب ثم عَلَى مقلع من الحجارة الكريمة فاصبح ثرياً عظيماً

كذا يحل بالرجل المتطلب المعرفة فانه اذا لم يقف في طريقه يصبح في وقت قصير رجلاً غنياً بالحكمة الابدية

. . . . .

اذا لم يكن في الاناء الا ثقب صغير في اسفله فذلك لايمنع خروج الماء منه. كذا يحل بالمؤمن اذا كان له ميل ولو صغيراً الى ماديات هذا العالم . انه ينقد من جراء ذلك كل عمله الروحي